تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى للدكتور عبد الجليل مرتاض
Structures of an Algerian Arabic dialect under the classical shade of Dr. Abdeljalil Mortad.

أسماء مصطفاوي[1،*]، أحمد جلايلي[2]
[2.1] المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2022-04-12؛ تاريخ المراجعة : 2022-09-05 ؛ تاريخ القبول : 2022-09-30

ملخص :

البحث عبارة عن دراسة كتاب في اللغة، للدكتور عبد الجليل مرتاض، بعنوان: تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى، الذي يستعرض بعض المفاهيم لمصطلحي اللغة واللهجة، وعلاقة هذه الأخيرة بالعربية الفصحى، وذلك بمقارنة بعض اللهجات كالأندلسية والصِّقلية في مقابل الجزائرية،فمن خلال هذه الدراسة نحاول معرفة مدى تمكين اللغة العربية في هذه التكلمات، ومدى تشابهها واللهجات الجزائرية.أمّا مايخص للمنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة،فهو المنهج الوصفي التحليلي، وينتهي البحث إلى خلاصة مفادها أنّه مهما اختلفت التراكيب اللهجيةفي مستوياتها الصوتية وأحياناً الدّلالية؛ إلاّ أنّها متشابكة متداخلة فيما بينها، كما أنّها لا تبعد كلّ البعد عن الفصحى،بلعلّها تمثّل رصيداً لغوياً متقاطعاً تقاطعاً وثيقاً مع آنية العربية الحديثة.

الكلمات المفتاح : لغة ؛ عبد الجليل مرتاض ؛ لهجة ؛ عربية ؛ أندلس.

Abstract :

The research is a study of a book on language, by Dr. Abdel Jalil Mortad, entitled: Structures of an Algerian Arabic dialect in the light of classical, which reviews some concepts of the terms language and dialect, and the relationship of the latter to classical Arabic, by comparing some dialects such as Andalusian and Sicilian versus Algerian, through these The study is trying to find out the extent of the empowerment of the Arabic language in these words, and the extent of their similarity with the Algerian dialects. As for the method that I followed in this study, it is the descriptive analytical method,The research concludes with the conclusion that no matter how different dialectal structures differ in their sound levels and sometimes semantics; However, they are intertwined and intertwined with each other, and they are not far from classical, but perhaps they represent a linguistic balance intersecting closely with the vessels of modern Arabic

Keywords: language ; Abdul Jalil Murtad ; dialect ; Arabic ; Andalusia.

I- تمهيد :

تعد اللغة العربية الفصيحة اللغة الوحيدة الموحدة التي عمدها العرب في التواصل بينهم طوال حياتهم، بالرغم من غموض تاريخ نشأتها الأولى، وبفضل مجموعة أو ثلة من العلماء الذين اهتموا بها ووضعوها نصب أعينهم؛ وجد المؤرخون اللغة نفسها أمام لغة ناضجة كاملة، وذلك لما قاموا به من جمع وتدوين الأصح فالأصلح منها عن طريق رحلاتهم إلى البوادي ومقابلة الأعراب الأقحاح.

وواقع اللغة اليوم لا يختلف كثيراً عن ماضيها، بحكم أنها لا تزال مستعملة في المقابلات والمراسلات الرسمية، والمناهج الدراسية ووسائل الإعلام وغيرها[1]، بينما اللهجات والعاميات تستعمل كلغة تواصل وتعايش بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدل على أهمية علم اللهجات وعلاقته بالفصحى، حيث لا نستطيع أن نقول أن اللهجة أو العامية هادمة لقواعد أو قوانين اللغة الأصل "الفصحى" فلطالما تعايشت معها جنب إلى جنب منذ القدم كلهجة قيس وتميم وغيرها من اللهجات إلى اللهجة أو العامية الحديثة في وقتنا الحالي. وهذا الموضوع أي موضوع الفصحى والعامية أو اللهجة يندرج ضمن ما ذهب إليه الدكتور عبد الجليل مرتاض حيث أنّ موضوع دراسته كان ذا صلة بعملية التواصل والالتحام الاجتماعي وأيضاً ذا

صلة بعلوم السان أو اللغة ألا وهو علم اللهجات الذي شاع في لغة العوام في مختلف المجتمعات عموماً والمجتمع الجزائري خاصة فجاء مؤلفه بعنوان: " تراكيب لهجية عربية جزائرية في الفصحى" فما مدى ارتباط وتقارب اللسان الأندلسي بالجزائري، وما مدى تمكين العربية الفصحى في كل منهما؟وقبل أن نلج في دراسة ما جاء به لزم أن نتعرض لمصطلحي اللغة واللهجة.

I.1- اللغة : ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه وهي اللغة الصوتية[2]؛ فاللغة كما جاء في الخصائص لابن جني في باب القول على اللغة وماهيتها هي:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3] وهناك تعريفين آخرين لها عند علماء اللغة إلى جانب تعريف ابن جني، وهما يؤكدان ما تضمنه تعريف ابن جني، ويضيفان إليه عناصر جديدة وأخص بالذكر تعريف:

أ_ **ابن الجّبان:** حيث قال:" والكلام أصوات قطعت ضرباً من التقطيع، وألفت ضرباً من التأليف، ووضعت للإفهام، وأما المحفوظ والمكتوب فلن يدعى كلاماً إلا مجازاً، وفي ذلك خلافاً بين الناس."[4]

ب_ **ابن خلدون:** حيث قال:" اعلم أنّ اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، من أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعلة وهو اللسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحهم."[5]

ولعل أشمل هذه التعريفات هو تعريف روسي إذ يقول إنّ اللغة:" قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بهاأفراد مجتمع ما."[6]

I.2- اللهجة : اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصه، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجة.[7]

وفي اشتقاق لفظ "لهجة" من لهج الفصيل يلهج أمّه إذا تناول ضرع أمّه يمتصّه، وأيضاً إذا اعتاد رضاعها، ولهج بالأمر لهجاً ولهوج وألهج يعني أولع به واعتاده واللهج بالشيء الولع به."[8]

وهنا نلاحظ أنّ هذا المعنى الاشتقاقي ذا صلة بمعنى اللهجة والتي تعني طريقة النطق التي يتبعها الإنسان؛ أي هي التي اعتادها الإنسان منذ النشأة.

II - التغيّر اللهجي في الجزائر : لقد عرفت الجزائر اللغة العربية بقدوم الفتح الإسلامي إلى شمال إفريقيا وكانت البربرية اللهجة السائدة، ولما دخل البربر الإسلام واختلطوا باللغة الفاتحة، لغة الدين والتعامل، فمن الطبيعي أن ينال هذه اللهجة شيء من التغيير والتحريف لأن ألسنتهم لم تتعود على أصوات العربية وطرائق النطق والتعبير بها، وقد تعدى هذا الانحراف إلى العرب أنفسهم الذين تأثروا بها، فإذا عربيتهم يشوبها التحريف واستحال مع مرور الزمن إلى لون لغوي خاص متميز في نطاق العربية الواسع.[9]

وفي هذا الشأن قال ابن جني: " اعلم أنّ العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يحف ويسرع فيقول ما يسمع، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره عليه ألصقت به ووجدت في كلامه."[10]

وهذا ما حدث في لغة الجزائري من تأثير وتأثر بين العرب والبربر. وفي هذا الصدد يقول المقدسي الرحالة العربي (ت 380هـ) عندما نزل بالمغرب في القرن الرابع الهجري: " وفي المغرب الإفريقي عامة لغتهم عربية غير أنّها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم ولهم لسان آخر يقارب الرومي..وهم قوم على عمل الخوارزمية لا يُفهم لسانهم."[11] وهذا كما نعلم لما شهدته الجزائر من غزوات من الرومان والوندال والبيزنطيين...

وهناك من ألفاظ العامية الجزائرية ما نجد أصوله في العربية الفصحى وهذا ما سنتطرق له فيما بعد من خلال دراسة التواصلات الأندلسية الجزائرية في ظل الفصحى من خلال رؤى الدكتور عبد الجليل مرتاض. والآن سنتعرض لقراءة بعض أجزاء كتابه: تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى حيث ركّزت في الدراسة على الجزئين الأولين للكتاب.

II . 1- الوصف الخارجي للكتاب: فهو كتاب في اللغة طبع بدار الغرب، مكون من مئة وخمسة وأربعين صفحة ثم خمس صفحات لما اعتمده من مصادر ومراجع وفهرسة وما لفت انتباهنا خلوه من المقدمة والخاتمة كما اعتدنا بل عمد طريقة طريقة أخرى حيث صدّر أو استهلّ دراسته مباشرة بعنوان الجزء الأول والذي شغل واحد وأربعون صفحة وحمل عنوان: "خطابات لهجية أندلسية جزائرية في ظلّ الفصحى" حيث تناول فيه نبذة عن الأخطاء وظهور اللحن منذ القدم وشيوعه إلى أن وصل إلى لغتنا الحالية. مطبقاً ذلك في بعض من التراكيب اللهجية الأندلسية الجزائرية وما أخطأ فيه العامة والخاصة في القرن الرابع الهجري (عرب الأندلس)، ومقارنتها بعاميتنا الجزائرية الحالية معتمدا في ذلك على الزبيدي بكتابه " لحن العامة" وكان ذلك تحت ضوء العربية الفصحى (المشتركة)طبعاً . ثم بعد ذلك انتقل إلى الجزء الثاني مباشرة والذي خصصه للهجة الصقلية أو ما لحن أو أخطأ فيه عرب صقلية من العامة إلى أن وصل إلى الخاصة منهم كالعلماء والأئمة وغيرهم، واضعاً ذلك تحت عنوان "خطابات لهجية صقلية جزائرية وصلتها بالفصحى" حيث ضمّن هذا العنوان أو الجزء بعضاً من الأمور المتعلقة بالحركة اللغوية العربية بصقلية ثم ذهب بعد ذلك إلى الحديث عن ما جاء به ابن مكي الصقلي في كتابه " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان" من لحن عامة صقلية في القرن الخامس الهجري وفي الجانب التطبيقي تطرق إلى دراسة مقارنة بين التراكيب الصقلية والجزائرية وصلة كليهما بالفصحى، وقد شغل هذا الجزء تسعة وثلاثون صفحة، ثم انتقل إلى الجزء الثالث الذي عنونه: ب: التواصلات اللغوية البغدادية الجزائرية في ظل الفصحى والذي ضمنه التعريف ببغداد وبعض قبائلها ولغتها وصلتها بالفصحى... وجاء هذا الفصل اثنان وستون صفحة ليختم كتابه بمسرد للمصادر والمراجع يليها فهرس الموضوعات.

II . 2- دراسة المحتوى:

II . 2. 1- الجزء الأول: خطابات لهجية أندلسية وجزائرية في ظلّ الفصحى:

II . 2. 1. 1- اللحن في التكلّمات الأندلسية: اللحن ظاهرة من الظواهر اللسانية التي دخلت اللغة العربية فتباينت مستوياتها من قبيلة لأخرى، واللحن كما هو معروف في اصطلاح علماء اللغة يرجع إلى المعنى العام وهو إمالة الشيء عن وجهته، وكذا الخطأ[12]. وهاو الأصمعي يقول:" أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مسموعة." حيث كان يتعجب من قول ابن دأب الذي كان يزعم أن الأعشى همدان قال:

من دعا لي غزّيلي أربح الله تجارتْه

ثّم أردف قائلاً : " يا سبحان الله يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ويسكّن الهاء ويرفع تّجارتُه"وهو منصوب، ويُجَوَّز هذا عنه[13]. وسار الناس يلحنون في خطاباتهم اليومية إلى أن تفشّى ووصل إلى الخاصة منهم، ولم يكن هذا في المدينة وحسب بل حتى في بغداد حيث وصف أبو حاتم أهل بغداد بقوله:"ولم يكن بها من يوثق به في كلام العرب ولا من تُرتضى روايته فإن ادّعى أحد منهم شيئاً رأيته مخلطا صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة، ولا يفصل بين علماء البصرة بالنحو."[14] وكذا في العصر الأموي شاع اللحن وأصبح قضية ذات خطر كبير وذلك لاتّساع الدولة واختلاط العرب بالأعاجم جرّاء الحرب والخدمة والمعايشة. وتصدّى له البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجّاج الذي كان يُضرب المثل بفصاحته وبلاغته وهو من الأربعة الذين قال فيهم الأصمعي لم يلحنوا في جدّ ولا هزل[15]. والناس يومها كانوا يتعايرون باللحن وكان هذا ممّا يُسقط مكانة الرجل في المجتمع. وفي عهد المأمون، نهضت الحياة الثقافية في مختلف نواحيها وتجلّى ذلك في كل العلوم، فما رُوي عن مواقف اللحن في القرن الأول الهجري، فإنّه في القرن الثاني وبخاصة في النصف الثاني منه وما تلاه أصبح ما كان إحساساً بالخطإ خطراً حقيقياً فترتّب عن ذلك نشاط علمي في اللغة، ورحل العلماء للبادية وانصرفوا عن الحضر بعد أن شاع فيه اللحن ونشطت حركة لغوية بدأت بكتاب الكسائي " ما تلحن فيه العامة" في نهاية القرن الثاني للهجرة[16]، واستمرّت موجة اللحن حتى القرن الثالث للهجرة وعظُم أكثر من ذي قبل[17]؛ حيث امتدّ إلى الأعراب والعلماء في اللغة فقد روى الجاحظ نوادر كثيرة عن اللحن في هذا القرن، ممّا سمعه ووصفه وعابه على من يتكلّفون الفصاحة من علماء اللغة والأعراب، فقال:" إنّ أقبح

لحن في هذا القرن لحن أصحاب التقعير والتعقيب و التشديق، والتنطيط والجهورية والتفخيم، وأقدح من ذلك لحن الأعاريب النّازلين على طرف السابلة، وبقرب مجامع الأسواق."[18]

وكان هذا بعض من مراحل اللحن وتطوره عبر العصور إضافة إلى ما جاء به عبد الجليل مرتاض الذي أردف حديثه عن اللحن بذكر مجموعة من عناوين كتب ألفت في هذا المجال (فيما يلحن فيه العامة) منها: كتاب ما يلحن فيه العامة لثعلب، وكتاب الفاخر فيما يلحن فيه العامة للمفصل بن سلمة، وكتاب ما تلحن فيه العامة لأبي الهيذان العقيلي...[19] بالإضافة إلى كتاب ابن الجوزي " تقويم اللسان" راجياً تحقيق ذلك الهدف من قوله:" فإني رأيت كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلّمون بكلام العوام المرذول جرياَ منهم على العادة وبُعداً عن علم العربية."[20]

والملاحظ أنّ الدّافع الأساسي الذي دفع هؤلاء إلى هذه التآليف هو أن يجتنب المتحدّثون باللغة العربية الأخطاء اللغوية إن كانت سقطت منهم، محافظة على سلامة اللغة، ثم بعد ذلك طرح إشكالية الخطاب الطبيعي والرّسمي وعن عاميتنا أو الخطابات اليومية أهي ضمن الخطابات الرسمية أم من الخطابات الطبيعية وبقي هذا الإشكال مطروح وذلك لظروف تطبيق هذا العمل الذي يتطلب وسائل تقنية وغيرها من الوسائل[21]. مواصلا دراسته عارضا تطور علم اللهجات اللغوي وذلك من خلال كتب بحيث خص كل كتاب بجزء من الكتاب:

أولهم: لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي في لحن عامة العرب بالأندلس في القرن الرابع الهجري.

ثانيهم: تقويم اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي في لحن عامة صقلية في القرن الخامس الهجري.

وثالثهم:تقويم اللسان لابن الجوزي في لحن عامة بغداد في القرن السادس الهجري[22].

وهذه الكتب كما ذكر الدكتور عبد العزيز مطر ذات أهمية بالغة حيث تهدف إلى تنقية اللغة والتوجيه إلى فصيح الكلام ومقاومة العامية[23].

وبمناسبة اعتماده على كتاب لحن العامة للزبيدي , أردت أن ألمح عن اللحن في القرن الرابع الهجري وفي هذه الفترة أصبح اللحن مألوفا بين اللغويين والمتعلمين وهذا أحمد بن فارس الكوفي يقول:"وقد كان الناس قديما يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم لبعض الذنوب والمحارم, أما الآن القرن الرابع هجري فقد تجوز ,حتى أن المتحدث يتحدث فيلحن,والفقيه يؤلف فيلحن,فإذا تبعا قالا:ما ندري الإعراب وإنما نحن محدثون فقهاء أي أن اللحن لم يقف عند العامة بل تجاوزهم إلى كتاب الدواوين[24].

II . 2. 1. 2- التواصلات الأندلسية الجزائرية في ظل الفصحى: وفي هذا المبحث تعرض لمقابلة بعض من النماذج اللسانية التي درسها وعقب عليها الزبيدي بما هو متبادل وشائع في العامية الجزائرية التي يتواصل بها أهل المنطقة التي ترعرع فيها(د.عبد الجليل مرتاض) فقد ذكر أبو بكر الزبيدي في معرض حديثه عن أبواب الأصوات عند تأليفه (لحن العامة) شواهد اللحن عند لغة الأندلس في القرن الرابع الهجري ، فذكر ما غير العامة في أصواتهم،فأبدلت صوتا لينا بصوت لين آخر ،أو صوت ساكن بآخر او سكنت متحركا ،أو حركت ساكنا،وما عبرت في صيغته المقيسة أو الموسوعة من العرب[25].

وتناول أيضا ما أفسدته العامة ووضعته في غير موضعه فمثلا:

كان الأندلسيون يقولون لما طحن من البر وغيره غليظا: دشيش في حين أن الصواب حسب مايراه الزبيدي جشيش بالجيم جششت البر أجشه جشا، فهو مجشوش وجشيش، والمجش رحى يجش بها البر وغيره[26].

وجاء في معجم الفصيح من اللهجات العربية دشش :الدش_اتخاذ الدشيشة ،وهي لغة من الجشيشة (نوع من الطعام)وفي حديث عائشة،"فجاءت بالدشيشة، فأكلنا"وقال الأزهري :دل هذا الحديث أن الدشيشة لغة في الجشيشة.[27]

ولفظة تشيشة معروفة في العامية الواسعة في الجزائر وحتى خارجها.وهي مأخوذة من دشيشة ،بالدال التى أبدلت تاء وهذا جائز في العربية الفصحى مثل سدس وست[28].

ونجد قولهم: فلان معزم على كذا،والصواب عازم على كذا وهذا الأخير هو ما يستعمل في العامية الجزائرية[29].

وجاء في الفصيح:عزم:العزم :الجد ،أو ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله.

والعزم في لغة هذيل الصبر،يقولون مالي عنك عزم أي صبر[30].

ويقولون الضِّفَدع بكسر الضاد وفتح الدال خلافا بكسر الضاد والدال معا في الفصحى وجاء في الفصيح. الضِّفدع والضَّفدع،معروف وهما لغتان فصيحتان والأنثى ضِفدعة وضَفدعة[31]. أما في العامية الجزائرية :فنطلق عليها قرقرة وتجمع على لقراقر[32].

ومن الكلمات المتداولة عندنا الكاغط، لكن الأندلسيون كانوا ينطقون الطاء:الكاغظ، و لربما كانوا يعنون الضاء دال ،لأن الصواب كما يروي بعضهم ،الكاغد بالدال المهملة ،لان هذه الأخيرة قد تتبادل صوتيا مع الذال المعجمة والعكس بالعكس[33].

وهذه بعض من التراكيب الأندلسية وما قابلها في العامية الجزائرية في ضوء الفصحى. فالتغير أو الاختلاف الذي وقع بين لهجة الأندلسيون والجزائريون لا يكاد يخرج عن الأصل (الفصحى) إلا في ضبط أو شكل الحروف أو وزنا أو بناء وهذا لابد منه نتيجة التطور الذي يطال المجتمعات.

II . 2. 2- الجزء الثاني:

II . 2. 2. 1- خطابات لهجية صقلية جزائرية وصلتها بالفصحى: وكان هذا عنوان الجزء الثاني من الكتاب فقد خصه لدراسة مقارنة بين الخطابات اللهجية الصقلية والعامية الجزائرية وصلة هذه وتلك بالعربية الفصحى.

وقد استهل هذه الدراسة بحديث وجيز عن الحركة اللغوية العربية في صقلية واعتمد فيها على كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي ،في لحن عامة صقلية قي القرن الخامس الهجري.

فمن المؤسف جدا أن الحركة اللغوية أو النشاط الفكري في هذه المنطقة (جزيرة صقلية)لم تحض بالدراسة الوافرة والبحوث سواء في المشرق أو في المغرب.[34] مع أنّ صقلّية وإن كانت في طرفٍ ناءٍ من العالم الإسلامي وكان لها تاريخ مضطرب في فترة الحكم الإسلامي لها، إلاّ أنّها توفّرت فيها عدّة عوامل ساعدت على ازدهار العلوم والآداب، وكان المعلّمون في المحاضرة الملحقة بالمساجد فيها معفيين من المشاركة في الجهاد، وكانت النخبة الحاكمة من الأغالبة الكلبيين تضّم أشخاصاً لم يكونوا رعاة للآداب فحسب، بل كانوا أنفسهم أيضاً كتّاباً وعلماء مبدعين، وكانت صقلية مأوى أمين يلجأ إليه العلماء المضطهدون في شمال إفريقيا. كما أنّها استفادت خلال القرنين الرابع والخامس الهجري من التيارات الفكرية الكبرى التي نمت في القيروان[35]. وكانت المساجد في الغالب مراكز لهذه النشاطات الفكرية وفيها كان يُدرّس علم النّحو واللغة فضلاً عن العلوم الدينية كالفقه والحديث والقراءات، كما استقّر التقليد الشعري فعلي بن حمزة البصري الذي كان أشهر لغوي وراوي لأشعار المتنبي هاجر إلى صقلية وتوفي فيها، ووضعت دراسات عن المتنبي وشروحه لديوانه من قبل البر الذي زار صقلّية... ومن قبل صقليين كابن القطاع وأبي علي الحسين بن عبد الله[36]، وعبد الله البرقي الذي شهد احتضار أو بداية احتضار صقلّية.[37]

غير بعيد عنهم برز عالم صقلي آخر في النحو وفي القراءات هو إسماعيل بن خلف الذي كان قد درس في مصر وتولّى عند عودته التدريس في صقلّية[38]. وقد ألفت عدة كتب عن المذهب المالكي في صقلّية من بينها كتاب صنّفه يحي بن عمر(بن يوسف بن عامر الأندلسي) وكان كتابه منتشراً في صقلّية مدى انتشاره في إفريقيا. وفقيه صقلي آخر بارز هو ميمون بن عمر الإفريقي[39].

أّما فيما يتعلّق بوضع المعاجم والدراسات الخاصة باللغة وفقهها، فإنّ صقلّية كانت جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي فعلماء صقلّية في هذه الميادين كانوا يرحلون أو يهاجرون إلى الخارج، بينما نجد أنّ علماء من أقطار أخرى اتّخذوا صقلية موطناً لهم. فالنحوي واللغوي والشاعر القرطبي موسى بن أصبغ مثلاً وفد إلى صقلّية واستقّر فيها، وفي مطلع القرن الخامس الهجري وصل إلى صقلية عالم لغوي بارز آخر هو سعيد بن فتحون.[40]

ونجد أيضاً من بين أشهر علماء اللغة في صقلية الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد وكان ابن رشيق قبل قدومه إلى صقلية قد ألّف كتاب "العمدة" تحت رعاية الأمير الزيري المعز بن باديس ... وغيرهم من العلماء الذين قادوا العربية إلى هذه الجزيرة[41]. غير أن هذه الحركة اللغوية بهذا البلد ما تنفك أو تزال مغمورة بالقياس بمستواها الذي بلغ شأنها ليس بأقل ممّا كان معروفاً في أمصار عربية أخرى، وفي الوقت الذي كانت هذه الحركة تتضعضع بهذا البلد حتى سمع ابن حوقل خطيباً يوم الجمعة "يجزم الأسماء مع الصلة ويجرّ الأفعال من أول خطبته إلى آخرها، ولم يكن في الناس من يعترض عليه مع أنّه خطبهم نحو حولين"[42] وبدأ هذا التضعضع يتفشّى في التراكيب العربية بأكثر مما كان عليه قبل هذه الفترة وممّا كان في أرض العروبة والّنبوة؛ حيث قال أبو الطيب اللغوي:" فأمّا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم فلا نعلم بها إماماً في العربية"[43] والأمر كذلك في بغداد وغيرها.

يرى الدكتور عبد الجليل مرتاض أنّ لتبين التّكلّمات اليومية الصقلية ومقارنتها بالعامية الجزائرية يعود إلى التكلّمات القبلية الأصلية المتشابهة التي بقدر ما كان أصحابها الفاتحون والوافدون ينتشرون ويستقّرون في هذه المنطقة[44]. أي أنّ هذه التباينات ناتجة عن الفوارق اللهجية القبلية الأصلية عند العرب الفاتحين والمستقرين، وأيضاً ترجع إلى السكان الأصليين الذين فتحت بلدانهم واختلطت دماؤهم و ألسنتهم بدماء وألسنة الفاتحين، إلى جانب علاقتها الوطيدة مع الأغالبة التي أقام بها "عرب من قبائل يمنية مثل أزد وكندة وقريش وتميم وأسماء بربر من هوارة ... وزناتة"[45]

ومما لا شكّ فيه أنّ هذه التكلّمات الناتجة عن تلك العلاقات والخطاب الشفوي اليومي غدا يغزوا ألسنة المعبرين فيما ينثرون وينظرون من أدب فصيح وهو ما سمي ب:" علم اللهجات الأدبي" حيث كانت هذه الظاهرة متفشية لدى العرب القدماء في جميع مستويات اللغة العربية.[46]

وهذا ما وصفه ابن مكي الصقلي في قوله:" وصار كثير من الناس يخطئون وهم لا يشعرون فربما سخر المخطئ من المصيب، وعنده أنّه ظفر بأوفر نصيب وتساوى الناس في الخطأ واللحن إلاّ قليلاً . وإنّما يتميّز أولئك القليل على ما بهم من تقصير عند المباحثة والمكاتبة وقراءة الكتب."[47] فهو في بعض الأحيان ينصف العامة من الناس ويخطأ الخاصة أحياناً أخرى من قراء القرآن وأهل الحديث والطب وغيرهم فضلاً عن الشواهد الشّعرية، والأمثال العربية التي دعمت مادّته العلمية. وقد أفاض ابن مكي في الحديث عن هذه الظاهرة (لحن العامة والخاصة) من أهل صقلية[48]؛ واصفاً فساد اللغة العربية على ألسنتهم يقول :" ثم لم يزل الغلط ينتشر في النّاس ويسيطر حتى وقع بهم في تصحيف المشهور من حديث النبي صلى الله عليه وسلّم واللحن في الواضح المتداول منه وتعّمد الوقف في مواقف لا يجوز الوقف عليها من كتاب الله _ عزّ وجلّ_ وتغيير أشعار العربوتصحيفها وتصنيف كتب الفقه وغيرها ملحونة ، تُقرأ كذلك فلا يُؤبه إلى لحنها، ولا يفطن إلى غلطها، بل إذا سمعوا الصواب أنكروه ونافروه، لطول ما ألفوا فقده وركبوا ضدّه"[49]

والجدير بالذكر أنّ ابن مكي لم يكتف بذكر التّصحيف، بل أشار إلى الأخطاء التي سمعها من الناس على اختلاف طبقاتهم، مركزاً على ما لم يسبق إليه أحدهم من المتقدمين في الذين كتبوا في هذا الموضوع.[50] لأنّ كلّ من ألّف كتاباً في هذا المعنى، فإنّما نّبه فيه على غلط أهل عصره وبلدته."[51] وهذا ما يؤكّد أنّه أوّل من ألّف في غلط أهل صقلّية[52].

وممّا لا يفوتنا التنويه بصدقية ابن مكي الصقلي، الذي تحرى لمواده الصدق والصحة معتمداً في جمعه على السماع المباشر من أفواه أهل صقلّية. وقصد أحد شيوخه بغية التقييم والتقويم والدليل على هذا قوله: " وقد عرضت جميع ذلك على الإمام الأوحد والعلم المفرد أبي بكر محمد علي بن الحسن بن البر التميمي."[53]

وظلّاللحن ينمو ويفشو على سطح هذه الجزيرة التي لم تعّمر في عهد العرب طويلاً حتى بسط سلطانه على التّكلّمات الفصيحة المكتوبة.

II . 2. 2. 2- دراسة مقارنة للخطابات الصقلية والعامية الجزائرية: ويقول الصقليون: الرُّثيلي،بالثاء المثناة أو المثلثة، وصوابها بالتاء المثناة، وفي الصحاح: "الرتيلا جنس من الهوام، ويمد أيضا". ونحن نقول: رتيلة بالتاء الفصيحة، وقد نجمعها على رتيلات وما تنسجه من خيوط متشابكة رهيفة يدعى عندنا" خمار"فيقال :خمار رتيلة، ولعل هذا قريب من الخُمرة بالضم

فوق الخاء،وهي سجادة تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط. ويقولون للولدين في بطن واحد: أثوم والصواب: توأمان، الواحد توأم، وأتامت المرأةفهي متأم، إذا ولدت توأمين، ونحن نقول في عاميتنا توام بتسكين التّاء طبعاً وبالتاء على اللغة الفصيحة وإبدالهم التاءات ثاءات ليس مطرداً عندهم كاطراد إبدال الذّاءات في عامّيّتنا الجزائرية تاءات إلاّ ما قلّ ونذر شذوذاً . ويقولون لجمع الماء: مّيات ومثلهم مثل الأندلسيين في هذا الجمع والصواب: أمواه للجمع الأقل (أفعال) ومياه للجمع الكثير (فعال)، وهمزة الماء مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصل الماء َموه بالتحريك لأّنه يُ جمع على أمواه، وتصغيره مويه، ومؤّثه: ماءة ومنه ماهة الركّية (البئر). كانت هذه بعض النّماذج التطبيقية للدراسة المقارنة في الكتاب.

الخلاصة :

من خلال هذه القراءة نلاحظ أن هناك تداخلات كثيرة لا يمكن إنكارها بين اللهجتين العربيتين وعلاقتهما بالفصحى ولهجاتها القبلية، فلا يمكن لأي دارس ملّم بأصول هذه التّكلّمات وتقاطعها في كلّ مستوياتها أن يكون له أدنى شكّ في ذلك. وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول بأن التكلّمات والتراكيب اللسانية وان اختلفت في مستوياتها الصوتية والصرفية وغيرها إلا أنها لا تكاد تخرج عن العربية الفصحى في أدائها ونظمها، بل لعلها تمثل جزءا كبيرا في أداء العملية التواصلية في العصر الحالي،وذلك لارتباطها بآنية العربية الحديثة.

- **الإحالات والمراجع :**

[1]. أنطوان صياح(1995)، دراسات في اللغة العربية الفصحى، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر اللبناني، ص: 76.

[2]. عبد الغفار حامد هلال(1414هـ_ 1993م)، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة وهبة، ص: 24.

[3]. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب، ج1، ص: 34.

[4]. غانم قدوري الحمد (2005م)، أبحاث في اللغة العربية الفصحى، الطبعة الأولى، عمان، دار عمان، ص: 8.

[5]. المرجع نفسه، ص: 8.

[6]. الظواهر الصوتية والمعجمية في منطوق صبرة، رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات، بن حليلم نور الدين، إشراف عبد الرحمان خربوش، 2003_ 2004م، ص: 16.

[7]. ابن منظور (1956م)، لسان العرب، بيروت، ، ج3، ص: 183.

[8]. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، مرجع سابق، ص: 27.

[9]. المرجع نفسه، ص: 26.

[10]. فاطمة داود (2006م)، المستوى اللغوي في لهجة الغرب الجزائري، مجلة حوليات التراث، العدد 5، ، ص: 34.

[11]. ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص: 383.

[12]. المقدسي البشاري (د ت)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دط، ص: 65.

[13]. إشراقة نور الدين الصافي محمد، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن 4 هـ، رسالة ماجستير، 2010م، ص: 10.

[14]. عبد الجليل مرتاض (2004_ 2005م)، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، دار الغرب للنشر، ص: 03.

[15]. المرجع نفسه، ص: 04.

[16]. يُ نظر: إشراقة نور الدين الصافي محمد، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن 4 هـ، ص: 15.

[17]. محمد عبدو، المظاهر الطارئة، ص: 26- 27.

[18]. المرجع السابق، ص: 27.

[19]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، ص: 04.

[20]. إشراقة نور الدين الصافي محمد، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن 4 هـ، مرجع سابق، ص: 57.

[21]. يُ نظر: المرجع السابق، ص: 05.

[22]. المرجع نفسه، ص: 05_ 06.

[23]. المرجع نفسه، ص: 06.

[24]. إشراقة نور الدين الصافي محمد، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن 4 هـ، مرجع سابق، ص: 34.

[25]. المرجع نفسه، ص: 34.

[26]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص: 07.

[27]. محمد أديب عبد الواحد جمران (1421 هـ)، معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، ، ص:182.

[28]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص: 08.

[29]. المرجع نفسه، ص:09.

[30]. محمد أديب عبد الواحد جمران (1421 هـ)، معجم الفصيح، مرجع سابق، ص: 371.

[31]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص: 11.

[32]. المرجع السابق،ص:340.

[33]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص: 17.

[34]. المرجع نفسه، ص:43.

[35]. المرجع نفسه، ص:43.

[36]. عزيز أحمد (1980م)، تاريخ صقلية الإسلامي، تر: د/ أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ص: 49.

[37]. يُنظر: المرجع نفسه، ص: 49.

[38]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص: 44.

[39]. عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامي، المرجع السابق، ص: 51.

[40]. المرجع السابق، ص: 53.

[41]. المرجع نفسه، ص: 54.

[42]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص:44.

[43]. أبو الطيب اللغوي (د ت)، مراتب النحويين،تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، د ط، ص: 155.

[44]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص:45.

[45]. إحسان عباس (1959م)، العرب في صقلية، مصر، دار المعارف، ص: 140.

[46]. المرجع السابق، ص: 46.

[47]. حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي (د ت)، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تح: عبد العزيز مطر، مصر، دار المعارف، ص: 43_ 44.

[48]. عبد القادر سلامي (يونيو 2013م،)، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، ص: 120.

[49]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص:47.

[50]. المرجع السابق، ص: 177.

[51]. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، مرجع سابق، ص:48.

[52]. عبد القادر سلامي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مرجع سابق، ص: 177.

[53]. المرجع نفسه، ص: 122.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

أسماء مصطفاوي ، أحمد جلايلي ،(2022)، **تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى للدكتور عبد الجليل مرتاض** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 14(03)/2022، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 95- 102.